فى مجلات الشرق

تاريخ المسرح التونسى

فى العدد الحادى والعشرين من « مجلة المباحث » التى تصدر فى تونس ، بحث ضاف بهذا العنوان كتبه الأستاذ عثمان الكعاك ، نقتبس منه ما يلى :

« إن المسرح عندنا مشروع فنى للقائمين به ، ومادة سلوة وموضوع اعتبار للمتفرجين فيه . أما عند القدماء فقد كان المسرح مؤسسة دولية ومشروعا حكوميا ، فالتمثيل لا يقع إلا من بعيد إلى بعيد وفى مناسبات معينة وتحت ظل ديانة رسمية وبرياسة أهل الحل والعقد وبحضر جميع السكان ... بحيث إن الرجل الوطنى الجدير بهذه الصفة ما كان ليتخلف قط عن حضور المشاهد حتى لو كان ذلك مفضياً به إلى الكلل والملل ؛ لأن فى تخلفه اعتداء على الطقوس وسوء أدب نحو الحاكمين .

« على أن الأفارقة لم يكونوا فى حاجة قط إلى مزيد تحريض ، فقد كانوا مولعين بالمشاهد إلى درجة الجنون ، يدلك على ذلك العدد العديد من المنقوشات الحجرية المرسومة باللغة اللاتينية والمشور عليها بالتراب التونسى ... الخ »

حكومة اليمن

وفى « مجلة المقتدى » التى تصدر فى فلسطين (العدد الثالث من المجلد الأول) حديث بعنوان « مشاهداتى فى اليمن » بقلم هارولد أنجرامز حاكم عدن السابق . جاء فيه ما يأتى :

« الحكم فى اليمن فى يد الامام والأسياد ، ومركز الامام يجمع بين السلطتين الدينية والمدنية ، والامام ينتخبه جماعة العلماء ، وهم من طبقة الأسياد ، والذى يتقدم لهذا المنصب ينبغى له أن يتوافر لديه ١٤ شرطاً ، ومتى تم انتخابه أصبح ملكا يتمتع بكل سلطة الملوك ورئيساً دينياً له كل ما للبابا من سلطة دينية بين أتباعه . وإذا ذكرنا هذه الحقيقة للهمة سهل علينا أن نفهم كثيراً من الظواهر الغامضة فى حياة اليمن : فالامام مثلا لم ير البحر فى حياته . وسبب ذلك أنه لا يستطيع أن يغادر بلاده ، فهى مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً ، حكومة ودينا ...

« ومن القوانين الأساسية فى البلاد أن الأجانب لا يجوز لهم ان يملكوا شيئاً فى اليمن ، وإذا هاجر اليمنى من وطنه استولت الحكومة على كل أملاكه ، وهذا القانون ينطبق على المسلمين كما ينطبق على اليهود . ومع أن جلالة الامام يعتقد أن سلطته حق مشروع إلا انه يقر بصعوبة الاحتفاظ بهذا النوع من الحكومة فى العهد الحاضر ، وهو لذلك لا يرحب بالنفوذ الاجنبى والمؤثرات الغربية مهما كان نوعها . والمستشارون الأجانب فى اليمن لا سلطة

لهم ؛ فرؤساء الدوائر كلهم من الأسياد وهم الذين يقررون ما يفعله الزراعيون أو الأطباء أو المهندسون الأجانب . وجلالة الامام مقتصد للغاية ولا يرضى بالتقدم السريع . »

الشعوبية والشيوعية

وفى مجلد العددين الرابع والخامس فى مجلة « عالم الغد » التى تصدر فى بغداد مقال بقلم الأستاذ سعيد أبو الحسن المحامى بدمشق ، عنوانه « العرب بين شعوبية القرون الوسطى وأممية القرن العشرين » يحاول فيه أن يبرز نوعا من التشابه بين دعوة الشعوبية التى ظهرت فى وقت ما فى الدولة الاسلامية فآلت بها إلى التفكك والانحلال وجعلتها آخر الأمر تسلم أمرها إلى الأعاجم فاستبدوا بالسلطان وأقصوا العرب عن مراكز الحكم — وبين الأممية التى تدعو إليها وتمثلها بعض المذاهب السياسية اليوم ، داعية إلى إغفال القوميات الخاصة والتهوين من شأن الروابط العنصرية التى تجمع أبناء الوطن الواحد على فكرة وعاطفة ، ويرى فى أوجه الشبه بين تلك الشعوبية وهذه الأممية ما يحمله على أن يجزم بأن هذه الدعوة ليست إلا لوناً جديداً من الشعوبية التى قوضت ملك العرب فيما غبر من تاريخهم . فنراه يقول بعد أن يورد من أوجه الشبه بين هاتين الدعوتين ما يؤيد به رأيه :

« فالقومية التى ندين بها والتى ندعو إليها تجددية تحررية تدين بالمساواة وتعترف لكل أمة بحقها فى الحياة ، ولكنها إلى ذلك تقرر من الوجهة الفكرية والعلمية أن لكل أمة شخصية خاصة وعبقرية خاصة لا يمكن أن تشابه سواها من الأمم ... »

الفكرة القومية فى مراحل تطورها الحديث

وفى عدد أبريل من مجلة « الأديب » البيروتية مقال للمحرر بهذا العنوان يحاول فيه أن يتحدث عن الصلة بين الاسلام والقومية العربية ، فنراه ينكر أن يكون هذا الدين من مشخصات القومية العربية أو من عناصر وجودها ، وإنما هو — فيما يراه — مظهر من مظاهر يقظتها وتعبير عن قوة الوعى فيها فى فترة ما من التاريخ ، فيقول :

« والحقيقة التى تتبدى على البحث المجرد الدقيق أن الدين لم يكن إلا « تعبير اليقظة » فى إحساس الطبيعة العربية التى شعرت بالمخاض ، فلا بدع إذا اشتقت عباراتها وانتحتت جملها ومقاطعها المعبرة من أعمق المسيرات المعنوية للكائن الحى يومذاك ، فجاء الدين تعبيراً قومياً متسقاً مع الاعتبارات القصوى التى كانت تهيمن وتسيطر وتدفع صعداً فى خط الاتجاه ، كما سبق لهذه الطبيعة أنها استخدمت أساليب أخرى من التعبير عن الذات والخصائص الثابتة ، كالفروسية حيناً وتوسيع المجال الحيوى حيناً آخر .

« ففى مفهومنا أن الدين بازاء القومية العربية لم يكن إلا « كحادث الأثر » ، اما « حادث السبب » فليس إلا القومية التى شعت وشاعت فيها يقظة الخصائص . . . ولهذا الذى نقرره معنى واضح ليس يسمح بريب أو تحوف ، كما ليس يسمح بتزويد أو افتيات . »

علامات الجمال

وفى العدد نفسه من مجلة « الأديب » مقال ممتع بقلم الآنسة روز غريب بهذا العنوان ، تقول فيه :

« والتوازن لازم فى الطبيعة كما فى الفن ، لازم لراحة الشئ واستقرار وضعه وراحة الناظر إليه ؛ لأن الاخلال بالتوازن تقلقل واضطراب . ولهذا نرى الباحث « الآن » يحدد الجمال بقوله إنه الهدوء والانضباط حتى فى مواقف العنف والهياج . إن اضطراب الأعصاب وعدم التوازن دليل الضعف والمرض ، وهياج الأهواء العنيفة كالغضب والحسد والحقد والهوى المذيب ، كل هذه أعداء الجمال ؛ لأنها تترك فى الوجه والجسم علامات القلق واختلال التوازن وتشوه محاسنها . والجسم الجميل حقا هو المتزن الحركات . والرشاقة سهولة فى الحركة أساسها التوازن واعتدال الشكل . والوجه الجميل هو الهادئ المنبسط الأسارير الذى تنعكس فيه نفس صافية متزنة لا تؤثر فى هدوئها أعاصير الحياة . لهذا يندر الجمال عند الشعوب الفطرية المتوحشة لاتصافها بانطلاق الغرائز ، ويكثر عند الشعوب العريقة بالتمدن الموصوفة بالانضباط ، ومن هنا كانت الثقافة أحد مصادر الجمال . »

بعد سقوط الأندلس

وفى عدد نوفمبر سنة ١٩٤٥ من مجلة « الثريا » التى تصدر فى تونس بحث طريف عنوانه « حجاج الأندلس بعد سقوطها » للأستاذ عثمان الكعاك ، تدرج فيه إلى الحديث عن اللغة فى الأندلس قبل سقوطها وبعده ، ثم إلى شئون أخرى ، فقال :

« كانت اللغة الرسمية فى أسبانيا الاسلامية هى العربية الفحة وكان شرطاً أساسيا على كل رئيس دولة أو موظف فيها أن يحسن العربية حواراً وكتابة ؛ فتبارى الرؤساء والوزراء فى حذقها والبراعة فى إنشائها ، حتى كان أكبر الكتاب من الرؤساء والوزراء ... ولكن الناس فى حياتهم اليومية كانوا يتكلمون لهجة دارجة قد خالطها الكثير من المفردات اللاطينية والأسبانية ، وكان إلى جانب ذلك لهجة أسبانية متولدة من اللاطينية الدارجة وهى الأنموذج الأول للغة الأسبانية الحالية . . . ويفسر هذا أن مسلمى الأندلس كانوا يتزوجون بالاسبانيات الأعجميات ، وكان الاسبان الأعاجم يتطوعون أو ينخرطون فى الجيش العربى ... وذكر ابن حزم أن القبائل الضاربة بأحواز قرطبة قد تعاجمت ألسنتها وتطرق إليها الكثير من المفردات والتراكيب الأسبانية حتى بعدت عن العربية بمراحل . . . وقد درس العلامة الأسبانى ريبيرا هذه اللهجة الأسبانية القرطبية فوجدها تمت بسبب إلى البرتغالية القديمة ، أو لغة الجلالقة ، أو اللغة القطلونية التى تشبه لغة سكان جنوب فرنسا . »

أثر الأعياد فى الأدب العربى

وفى مجلة « الاعتدال » التى تصدر فى النجف — العراق ، بحث بهذا العنوان للدكتور السيد مصطفى حواد يفصل فيه أثر الأعياد فى الأدب العربى شعراً ونثراً ، ثم يجمل بحثه الضافى فى خلاصة وجيزة يقول فيها :

« وخلاصة القول أن الأعياد أثرت فى الأدب العربى تاثيراً عظيما وأحدثت فيه ثلاثة أنواع جديدة ، أولها « أدب التهانى » بالشعر والنثر ، وقد بلغ من الشيوع أن الانسان قلما تصفح ديوان شعر أو ديوان رسائل ولا يرى فيه جملة من أدب التهانى . وكان الخليفة الناصر لدين الله العباسى (٥٧٥ — ٦٢٢ هـ) قد أحدث للشعراء الكبار سجلا أثبت أسماءهم فيه وسماهم شعراء الديوان وأجرى عليهم جرايات ورواتب ، فتهيأت لأدب التهانى يومئذ حماية من الدولة ورعاية من الخليفة . والنوع الثانى هو أدب الأعياد الفارسية من مهرجان ونيروز وسذق ، وكان لهذا الأدب فضل فى تقدم شعر الطبيعة عند العرب . والثالث الأدب الديرانى وهو أدب جمع بين وصف الطبيعة والجمال والخمر ، وخلف كتبا كثيرة عرفت بالديارات ، كديارات على بن محمد الشابشتى وابن فضل الله العمرى . وهذا النوع الثالث ، وأعنى الأدب الديرانى ، هو الأدب الذى صدقت فيه العواطف وصحت فيه الأوصاف وصور عدة حالات اجتماعية للعرب أبدع تصوير وسجلها أبرع تسجيل ؛ فهو من الأدب الكامل الذى لا تبلى جدته الدهور ، أولا تمل عذوبته الأذواق السليمة على اختلاف العصور . »

الخلود الأدبى

وفى المجلة نفسها مقال بهذا العنوان للأستاذ السيد محمد شرارة يتحدث فيه عن معنى الخلود الأدبى ، ويسائل : « ما رأيك ؟ هل تنكر الخلود الأدبى ؟ وهل تنكر أن فى الأدب آثاراً تعبر عن أدق ما فى الحياة من أحاسيس ؟ » .

ثم يقول :

« هذه الأسئلة التى تلوح شبيهة بالتحدى أكثر من الأسئلة العادية ، يتوقف الجواب عليها على معنى الأدب وأثره فى الحياة . فان كان الأدب « تصويراً » للحياة — وهو ما نؤمن به — فخلوده يدور فى الفلك الذى دارت به الحياة ... فقد قيل عن قصة « روميو وجوليت » فى الأدب الانكليزى إنها خالدة ، ولكن القصة الانكليزية أحيطت بظروف وعادات وقتية لم يبق لها أثر فى الحياة الانكليزية الحديثة . وإذا كانت العناصر التى استمدت القصة منها روحها قد زالت فى العصر الجديد فكيف يمكن أن يبقى الشىء خالدا وهو معدوم الروح ؟ وقيل عن قصة « قيس وليلى » فى الأدب العربى إنها خالدة ؛ وقصة الحبيبين العربيين كقصة الحبيبين الانكليزيين محاطة بتقاليد بدوية وعنعنات صحراوية أدت إلى الحيلولة بين لقاء

الحبيبين ، ونشأ من ذلك ما نشأ من حرقة ولوعة كان من أثرها ذلك الشعر الحزين الباكى فى الأدب العربى وغيره . وقيل عن قول أبى العلاء :

مل المقام فكم أعاشر أمة ... أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

إنه خالد . ولكن هذا الخلود لا مصدر له إلا ما نراه من التشابه بين العصر الذى نعيش فى ظلاله وبين عصر أبى العلاء . . . فإذا كان الرأى نرى فى هذين البيتين خلوداً فليس له مصدر إلا ما ذكرناه . فلو تغيرت الأوضاع وساد العدل — وذلك غير بعيد — لبقيت هذه المعانى سجلا تاريخياً يعبر عن فترة من الفترات التى مرت بها الانسانية لا أكثر . . . »

وينتهى الباحث من مقاله قبل أن يقطع برأى فى معنى خلود الأدب أو يجيب على سؤال ، أو لعله قد قطع برأيه وأجاب جوابه فى جملة ما استطرد إليه من الحديث مشفقا من التصريح بالرأى الذى يؤمن به ، وهو أن خلود الأدب ليس إلا أمنية ليس وراءها حقيقة !

فى زحمة الميدان !

وهذه مجلة جديدة صدر الجزء الأول منها فى أبريل — عن بيروت — اسمها « الأدب الجديد » ينشئها طائفة يسمون أنفسهم « إخوان القلم » يقدمونها إلى القراء بكلمة عنوانها « حقيقتنا » يقولون فيها :

« لقد مل الحرف ترديد اللفظ ، وسئم اللفظ تكرار المعنى ، فبليت الأفكار فى الأقلام ، وأنفت الأقلام فى المحابر ، حتى جف المداد واصفر الورق !

« جمود وتقليد . . .

« إقطاعية تستثمر الأدب ، وأنانية تحتكر الشهرة .

« مجلات ودور نشر : تهمل قيمة الأدب وتتاجر باسم الأديب !

« لقد شاخ أدباؤنا فشاخ أدبنا ؛ لأن دم الشباب مكبوح الجماح .

« فنحن نريد أن نطلق العاطفة المكبوتة . . . نريد . . . نريد . . . نريد . . . »

ويختمون هذه المقدمة قائلين :

« هذه ثورة فى الأدب ، غايتها تحطيم الأصنام ، ورفع القيم فوق الأسماء

« إن نضالنا طويل ، فلن ندعى الفوز القريب ، لأننا فى مستهل الطريق . »

أترى هؤلاء الشباب يستطيعون أن يحققوا هذا البرنامج ؟ أم هى ثورة عابرة وفورة من فورات الشباب الذين يتعجلون الغاية قبل الأوان ؟ أم هى طبعة ثانية من المعركة التى نشبت فى القاهرة منذ قريب بين من سموا أنفسهم « أدباء الشباب » و « أدباء الشيوخ ؟ »

أسئلة ندع الجواب عنها الساعة حتى نرى ماذا يكون « إخوان القلم » فى غد وبأى لون من « الأدب الجديد » يريدون أن يطالعونا فى الأعداد القادمة ، ونأمل لهم التوفيق !